



دور القيادة السلبية وأدواتها في تأجيج الصراع "فرعون أنموذجاً"  
*The role of negative leadership and its tools in fueling conflict*  
*Pharaoh as a sample*

ماجد عبد الله محمد قايد\*

جامعة صنعاء (اليمن)

majedalkamel1987@gmail.com

| ملخص:                                                                                                                                                                                                                                                                                      | معلومات المقال                                              |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------|
| يهدف البحث إلى بيان أهمية القيادة للمجتمعات البشرية، وبيان الدور الذي لعبه فرعون في قيادته لبني إسرائيل، والكشف عن الأدوات التي استعان بها. وقد خرج البحث بعدد من النتائج أهمها:                                                                                                           | تاريخ الارسال: 2023/2/11<br>تاريخ القبول: 2023/03/01        |
| 1- الصراع والاختلاف والتنازع سنة إلهية بين البشر، يأخذ بعداً إيجابياً بجانب الخير، وبعداً سلبياً بجانب الشر.<br>2- للقيادة الفرعونية أدوات ساهمت بدورها إلى إطالة أمد الصراع وتأجيجها في شتى مجالات الحياة.                                                                                | <b>الكلمات المفتاحية:</b><br>✓ قيادة<br>✓ صراع<br>✓ فرعون   |
| Abstract : (not more than 10 Lines)                                                                                                                                                                                                                                                        | Article info                                                |
| <i>The research aims to show the importance of leadership to human societies, to explain the role that the Pharaoh played during his leadership of Israelian people, and to reveal the tools he used. The research came out with a number of results, the most important of which are:</i> | Received 11/2/2023<br>Accepted 01/03/2023                   |
| <i>1- Conflict and disagreement are a divine norm among human beings, taking a positive dimension on the side of good, and a negative dimension on the side of evil.</i>                                                                                                                   | <b>Keywords:</b><br>✓ leadership<br>✓ conflict<br>✓ pharaoh |
| <i>2- The Pharaonic leadership had tools that, in turn, contributed to prolonging the conflict and fueling it in various aspects of life.</i>                                                                                                                                              |                                                             |

## . مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أعظم قائد وخير معلم سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. وبعد:

إنه لفضل عظيم أن يبقى القرآن الكريم بين أيدينا يؤجر عليه القارئ والحافظ، والمعلم والمتعلم، والعالم والمفسر، فهو كتاب هداية ومنهج فلاح في الدنيا والآخرة لمن أراد أن ينهل من منبعه العذب، ويتزود من معارفه التي لا تكاد تحصى في شتى المجالات.

وإذا كان هدف القرآن الكريم هو بناء الإنسان، وتحقيق السعادة للبشرية جمعاء في جميع جوانب الحياة المختلفة، فإن القيادة هي التي تسهم في ذلك من خلال الدور الذي تلعبه في قيادتها سلباً أو إيجاباً، فهي من أهم عوامل التأثير وإصلاح شأن المجتمعات، وفي كل العصور والأزمنة نجد الصراع قائماً بين الحق والباطل، فالأنبياء والمرسلون كان لهم خصوم وأعداء من أقوامهم ناهضوا دعوتهم وحاربوها، فوقف الأنبياء في ثبات وقوة وعزم وصبر، يناضلون لتثبيت دعائم مبادئهم، ويدافعون لإرساء قواعد شرائعهم، كذلك كان المصلحون في كل وقت يضربون بسهم وافر في حركات الجهاد ضد الجهل والخرافات والباطل.

والقصص القرآني مليء بالعظات والعبر في صراع الأنبياء مع أقوامهم، وكذلك قصص المصلحين من أتباع الأنبياء مع أقوامهم، كما أنها تتضمن مواقف الظالمين التي واجهت الدعوة في كل مرحلة من مراحل الصراع عبر تاريخ الوجود من أجل حطام الدنيا، و الرئاسة والزعامة والملك، والسمعة والرياء، والعصبية البغيضة المتمثلة في عصبية الجنس واللون والعرق والقبيلة والوطن. وما إلى ذلك، ونتيجة لهذه الاستمرارية في الصراع سنحاول بيان الدور السلبي للقيادة في تأجيج الصراع من خلال:

### أولاً: أهمية موضوع الدراسة وأسباب اختياره:

- يعتبر البحث مهماً نظراً لحاجة الأمة الإسلامية لمثل هذه البحوث، لما للقيادة من تأثير على نهضة الأمة سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو العلاقات المختلفة بجميع مكوناتها، فما نواجهه اليوم من تحديات في جميع مناحي حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية، وما نشهده من سرعة تغير النمط السلوكي للمجتمع إلى صراعات في شتى تلك المجالات، كل ذلك يوجب علينا البحث عن دور القيادة السلبية وأدواتها كي نكون على حذر من تلك القيادة، والبحث عن قيادة إيجابية تسعى لتحقيق السعادة للبشرية في كل مناحي الحياة.
- لأن الصراعات تُعد من أهم وأكبر مصادر انتهاكات حقوق الإنسان في العالم، وغياب القيادة الحقيقية عامل مهم في استمرار الصراعات وتوسع رقعتها.
- تجلي ووضوح الدور السلبي للقيادات العربية والإسلامية في التعامل مع الصراعات الداخلية، أو الخارجية؛ وهذه محاولة من الباحث للفت الانتباه إلى أن فرعون موسى يتكرر في القرن الحادي والعشرين.

### ثانياً: أهداف الدراسة:

- بيان أهمية القيادة للمجتمعات البشرية.
- بيان الدور الذي لعبه فرعون في قيادته لبني إسرائيل.
- الكشف عن الأدوات التي استعان بها فرعون في قيادته لبني إسرائيل.
- الكشف عن العوامل التي توجب الصراع وتساهم في استمراره من خلال القصص القرآني.

### ثالثاً: الدراسات السابقة:

بعد التقصي والبحث في أروقة المكتبات العلمية، وكذلك عن طريق الشبكة العنكبوتية، لم أقف على رسالة علمية أو بحث منشور يتناول فيه " دور القيادة السلبية وأدواتها في تأجيج الصراع... فرعون أنموذجاً" إلا أن هناك جهوداً للعلماء ودراسات تناولت القيادة في القرآن الكريم من جوانب مختلفة غير جانب الدور السلبي للقيادة في الصراع.

### رابعاً: مشكلة الدراسة:

الدراسة محصورة في دراسة الآيات التي أشارت إلى الدور السلبي لقيادة فرعون لبني إسرائيل، ولا يتطرق البحث لغيرها من الآيات إلا ما دعت إليه الحاجة استشهاداً أو اعتضاداً لفكرة.

خامساً: تساؤلات الدراسة: من خلال دراسة قصة فرعون مع بني إسرائيل، ستجيب الدراسة على التساؤلات الآتية:

س1/ ما حقيقة الصراع، وما طبيعته، وما أهم العوامل التي توججه؟؟

س2/ ما المقصود بالقيادة، وما أهميتها؟؟

س3/ ما الدور الذي لعبته القيادة الفرعونية في بني إسرائيل؟

سادساً: منهج الدراسة، وأهم خطواته:

في هذه الدراسة سيعتمد الباحث على المناهج العلمية المعتمدة في البحث العلمي، وهي: المنهج الوصفي، والتحليلي، والاستقرائي.

لقد اتبع الباحث في هذه الدراسة الخطوات الآتية:

- 1- استخلاص وتحديد الموضوعات المتعلقة بالدور السلبي للقيادة الفرعونية من القصص القرآني، ووضع عنواناً مناسباً لكل موضوع، وتناوله بالبحث والدراسة.
- 2- دراسة الآيات الخاصة بكل موضوع من مواضيع الدراسة في القصص القرآني.
- 3- كتابة الآيات الخاصة بكل موضوع بالرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم، معتمداً على مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، التابع لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- 4- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر اسم السورة، ورقم الآية في المتن تجنباً لإثقال الحاشية.
- 5- تخريج الأحاديث من مضائها، مع الحكم عليها إن كانت في غير الصحيحين، مع ذكر معلومات تخريج الحديث، من حيث، معلومات المصدر الذي خرجته منه، ثم اسم الباب الذي ورد فيه، ثم رقم الحديث والجزء والصفحة.
- 6- وضع ما اقتبس من المعلومات بالنص وأقوال العلماء بين علامتي " " والأحاديث النبوية بين علامتي ((...))،

والآيات القرآنية بين علامتي ﴿...﴾.

7- ضبط ما يحتاج إلى ضبط من الألفاظ المشككة، بحسب ما يوضح السياق على قدر الإمكان.

8- الالتزام بقواعد الإملاء وعلامات الترقيم في كتابة البحث، وفق أصول هذا الفن.

سابعاً: خطة الدراسة: لقد جاءت خطة الدراسة في مطلب تمهيدي، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة فيه، وحدوده، وتساؤلاته، والمنهج المتبع في دراسته، وتقسيماته.

المطلب التمهيدي: مقدمات الدراسة، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف الصراع لغة.

الفرع الثاني: تعريف الصراع اصطلاحاً.

الفرع الثالث: طبيعة الصراع في القصص القرآني.

المبحث الأول: مفهوم القيادة، وأهميتها.

المطلب الأول: تعريف القيادة لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: القيادة لغة.

الفرع الثاني: القيادة اصطلاحاً.

المطلب الثاني: معنى القيادة في القرآن الكريم، وأهميتها.

الفرع الأول: معنى القيادة في القرآن الكريم.

الفرع الثاني: أهمية القيادة.

المبحث الثاني: دور القيادة السلبية وأدواتها في تأجيج الصراع... فرعون أنموذجاً.

المطلب الأول: دور القيادة الفرعونية في تأجيج الصراع.

الفرع الأول: إظلال قومه.

الفرع الثاني: استمراء الذل.

الفرع الثالث: تقسيم المجتمع طبقياً.

الفرع الرابع: طغيان المفهوم المادي للحياة.

الفرع الخامس: إشغال المجتمع بما يضر ولا ينفع.

المطلب الثاني: أدوات القيادة الفرعونية في تأجيج الصراع.

الفرع الأول: ملأ فرعون ودورهم في تأجيج الصراع.

الفرع الثاني: القوة العسكرية لفرعون ودورها في تأجيج الصراع.

الفرع الثالث: القوة المالية لفرعون ودورها في تأجيج الصراع.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات، وسأوردها في نهاية الدراسة.

## 2. المطلب التمهيدي: مقدمات الدراسة:

### 1.2 الفرع الأول: تعريف الصراع لغة

يرجع الصراع في مادته اللغوية إلى الصرع، الذي يعني الطرح في الأرض، يقال صرعه صرعاً، والصرعة حالة المصروع، والصرعة حرفة المصارع، ورجل صريع أي مصروع، وقوم صرعى قال تعالى: ﴿...فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى...﴾ {الحاقة: ٧}.

والصراع معالجة المتصارعين أيهما يصرع صاحبه<sup>(1)</sup>، وفي الحديث: (( مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تفيئها الريح، تصرعها مرة وتعدّلها أخرى ))<sup>(2)</sup> أي: تملّحها وترميها من جانب إلى جانب<sup>(3)</sup>، والصرعة: الغلّاب في المصارعة، فيقال: رجل صرعة وقوم صرعة<sup>(4)</sup>، وفي الحديث: (( ما تعدون الصرعة فيكم؟ قالوا: الذي لا يصرعه الرجال. قال ليس بذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب ))<sup>(5)</sup>، وفي المخصص: " الصَّرْع - الطَّرح بِالْأَرْضِ صَرَعْتُهُ أَصْرَعَهُ صَرْعاً وَصِرْعاً فَهُوَ مَصْرُوعٌ وَصَرِيعٌ وَالْجَمْعُ صَرْعَى وَرَجُلٌ صَرَّاعٌ وَصَرِيعٌ بَيْنَ الصَّرَاعَةِ وَصَرُوعٍ - شَدِيدُ الصَّرْعِ وَصُرْعَةٌ - كَثِيرُ الصَّرْعِ لِأَقْرَانِهِ وَقَدْ تَصَارَعَ الْقَوْمُ وَاصْطَرَعُوا وَصَارَعْتُهُ مُصَارَعَةً وَصِرَاعاً وَالصَّرْعَان - الْمُصْطَرِعَانِ وَالصُّرْعَةُ"<sup>(6)</sup>، ومن الباب: اعترك القوم في القتال، وذلك تمرس بعضهم ببعض وعرك بعضهم بعضاً، فيقال: رجل عرك وقوم عركون، وهم الأشداء في الصراع.<sup>(7)</sup>

(1) ينظر: الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة: الثامنة، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ت ط: ( 1426 هـ - 2005)، (ص 737)، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولى، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ت ط: ( 1412 هـ)، (ص 483)، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الطبعة: الثالثة، بيروت، دار صادر، ت ط: ( 1414 هـ)، (197/8)، الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية (329/21).

(2) أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: مثل المؤمن كالزعر، برقم: (2810)، (2163/4)، وعند البخاري نحوه بلفظ (( تفيئها الريح مرة وتعدّلها أخرى ))، من غير تصرعها، ينظر: البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، ت ط: (1422هـ)، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم: (5643)، (114/7).

(3) ينظر: العسقلاني أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ت ط: (1379هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، (106/10).

(4) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، (ص513).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، برقم: (2608)، (2014/4).

(6) ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت ط: ( 1417 هـ 1996 م )، ( 350 / 3 ).

(7) الرازي أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ت ط: (1399هـ - 1979م) (4 / 290).

والمجادلة والجدال: المخاصمة والخصام. فالجدال: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله: من جدلت الحبل: إذا أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يقتل كل واحد الآخر عن رأيه.

وقيل: أصل الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة. وكل من الجدل والجدال والمجادلة<sup>(1)</sup>

وختلاصة ما ورد في المعاني السابقة للصراع أنها تحمل معنى الصراع وتدل عليه:

**فالصراع يدل على معاني:** الجدال والخصومة والنزاع والعراك والمدافعة والمغالبة وبين هذه المعاني علاقة عموم وخصوص؛ فكلاً منه يحمل معنى الآخر ويدل عليه، كما أنها جميعاً تحمل معنى الجانب والناحية، وأنّ كلاً من المصارع والمنازع والمخاصم والمجادل قد اتخذ جانباً، كما أنها تحمل معنى المدافعة والمغالبة والعراك، وبذلك يكون معنى الصراع بجملة أخرى هو: المدافعة والمغالبة والمجادلة والمنازعة بين اثنين أو فريقين، ينشأ عنها ظهور المنتصر وهو الصارع، والمنهزم وهو المصروع، والأمر كله يسمى صراعاً.

## 2.2 الفرع الثاني: تعريف الصراع اصطلاحاً.

يُعرّف الصراع بأنه موقف ناجم عن الاختلاف في الأهداف والمصالح القومية<sup>(2)</sup>، كما عرف أيضاً بأنه: "شكل من أشكال الصدام بين ثقافات ومصالح غير متجانسة لأطراف غير قادرين على التعايش في البيئة الموجودين فيها"<sup>(3)</sup> كما عرّف أيضاً: بأنه عمل مقصود من طرف ما للتأثير سلبياً على طرف آخر يؤثر بشكل سلبي على ذلك الطرف، ويعيق تحقيق أهدافه وخدمة مصالحه، والصراع: عملية تفاعل اجتماعي بين طرفين أو أكثر تبدأ عندما يدرك أحد أطرافها أنّ الطرف الآخر يعيق أهدافه مما يخلق لديه شعوراً بالإحباط يقوده إلى تفسير طبيعة الموقف ومقاصد الطرف الآخر، وبالتالي إلى القيام بسلوك معين قد ينهي الصراع، أو يؤدي إلى تطورات أخرى واستمرار الصراع<sup>(4)</sup> كما يُعرّف الصراع في قاموس علم الاجتماع العربي بأنه: "نزاع مباشر ومقصود بين أفراد وجماعات من أجل هدف واحد، وتعتبر هزيمة الخصم شرطاً ضرورياً للتوصل إلى الهدف، ويظهر في عملية الصراع الأشخاص بشكل واضح من ظهور الهدف المباشر، ونظراً لتطور المشاعر العدوانية القوية، فإن تحقيق الهدف في بعض الأوقات قد يعتبر شيئاً ثانوياً بجانب هزيمة الطرف الآخر"<sup>(5)</sup>، ويقصد بالصراع كذلك بأنه: أحد أنماط التفاعل الاجتماعي، الذي ينشأ عن تعارض المصالح، وهو الموقف التنافسي، فيعرف كل من المتنافسين غريمه، ويدرك أنه لا سبيل إلى التوفيق بين مصلحته وبين مصلحة الغريم، فتقلب

(1) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (194/28).

(2) ينظر: الخزندار سامي إبراهيم، إدارة الصراعات وفض المنازعات، إطار نظري، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة: الأولى، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات والبحوث، ط: (1435هـ - 2014م)، (ص: 61).

(3) ينظر: الطيار حسب الرسول الطيار، العلاقات العامة الشعبية ودورها في الوساطة وفض النزاعات القبلية، الطبعة: الأولى، مكتبة الأزهر، ت ط: (1998م)، (ص 174).

(4) القريوبي محمد، السلوك التنظيمي - دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في منظمات الأعمال، الطبعة: الخامسة، عمان، دار وائل للنشر، ت ط: (2009م)، (ص: 258).

(5) غيث محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ت ط: (2006م)، (ص: 73).

المنافسة بينهما إلى صراع، فيعمل كل منهما على تحطيم الآخر والتفوق عليه. (1)

وإذا حاولنا تحليل التعريفات سابقة الذكر، نجد فيها تشابه في المفهومات، حيث أن كلاهما يُعرّف الصراع بأنه عملية اجتماعية، وليست مواقف فردية فحسب، بل يشارك فيه شخصان فأكثر، كل منهما يحمل أهدافاً ومصالح يسعى إلى تحقيقها مع إمكانية تحطيم الطرف المتصارع معه، وأنّ الصراع يحدث بين الأفراد، أو بين الجماعات، أو بين الأفراد والجماعات، أو بين الجماعات بعضها لبعض، أو داخل الجماعة نفسها.

### 3. الفرع الثالث: حقيقة الصراع في القصص القرآني.

لم يرد لفظ الصراع في أي آية من آيات القرآن الكريم؛ بل جاء مشتقاً من مشتقاتها بمعنى الهلاك والإهلاك في سياق الحديث عن قوم عاد وثمود في قوله تعالى: ﴿...فَفَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى...﴾، {الحاقة: ٧}، وصرعى: جمع صريع وهو الملقى على الأرض ميتاً، (2) يعني موتى يريد أنهم صرعوا بموتهم، فهم مصرعون صرع الموت (3)، فقد جاءت بمعنى الهلاك أي فهم هلكى بسبب ما أصابهم من العذاب (4)، والمراد بالصراع في القرآن الكريم: هو الصراع بين الحق والباطل، وهو: المعالجة بين أهل الحق وأهل الباطل أيهما يصرع أو يدفع صاحبه، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى بالتدافع الذي هو سنة إلهية من سنن الاجتماع البشري بين أهل الحق المصلحين، وأهل الباطل المفسدين، كل يقاوم الآخر، ويقاومه (5)، وهي حكمته العليا سبحانه من اضطراع القوى وتنافس الطاقات وانطلاق السعي في تيار الحياة المتدفق الصاحب للموار (6)، وهو ما يعبر عنه علماء الاجتماع في هذا العصر بتنازع البقاء (7)، وبناءً على هذا فإن كلاً من الحق والباطل في صراع وتنازع مستمر، وهي سنته تعالى في الحياة. وكذلك فإن كلاً منهما يهدف إلى حماية نفسه، ومصالحه، لينال من الآخر ويرد عليه، ومصلحة الحق في ذلك هي منع الفساد بخلاف الباطل الذي يريد نشر الفساد وهذا واضح في قوله تعالى في استخلاف آدم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، {البقرة: ٣٠}، وقوله تعالى: ﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَئِكَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾، {البقرة: ٢٥١}، فهذا النص يوضح

(1) بدوي أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، مكتبة لبنان للنشر والتوزيع، ط: (1977م)، (ص: 79).

(2) بن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تونس، الدار التونسية للنشر، ط: (1984هـ)، (29/ 118).

(3) ينظر: الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الطبعة: الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: (1420هـ)، (30/ 622).

(4) ينظر: الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، ط: (1420هـ - 2000م)، (23/ 575).

(5) ينظر: رضا محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: (1990م)، (2/ 390).

(6) ينظر: قطب سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، في ظلال القرآن، الطبعة: السابعة عشر، بيروت- القاهرة، دار الشروق، ط: (1412هـ)، (1/ 270).

(7) ينظر: المرجع السابق: (8/ 6).

لنا معنى الصراع بين الحق والباطل بأنه لولا أن الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق وأهل الفساد في الأرض بأهل الإصلاح فيها لغلب الباطل والإفساد في الأرض وبغوا على الصالحين وأوقعوا بهم حتى يكون لهم السلطان وحدهم فتنفسد الأرض بفسادهم، فكان من فضل الله على العالمين، وإحسانه إلى الناس أجمعين، أن أذن لأهل دينه في الأرض بقتال المفسدين فيها من - الكافرين والبغاة المعتدين - فأهل الحق حرب على أهل الباطل في كل زمان، والله ناصرهم ما نصره الحق، ومارسوا الإصلاح في الأرض<sup>(1)</sup>.

وقد سمى القرآن هذا الصراع (دفعاً) على قراءة الجمهور باعتبار أنه منه سبحانه إذ كان سنة من سنته في الاجتماع البشري، وسماه (دفعاً) في قراءة نافع<sup>(2)</sup> باعتبار أن كلا من أهل الحق المصلحين وأهل الباطل المفسدين يقاوم كلا منهما الآخر ويقاتله<sup>(3)</sup>. والصراع بين الحق والباطل صراع تعمّر فيه الأرض وتُصان من الفساد ويدعو إلى الاجتماع المستقر على الكثرة والجماعة وليس هو صراعاً يدعو إلى الإفساد وإبطال الاجتماع وإيجاد الوحدة المغيبة للكثرة. بل الصراع بين الحق والباطل يُعد سبباً لعمارة الأرض، وعدم فسادها من حيث أنه تحيا به حقوق اجتماعية حيوية لقوم مستذلين، لا من حيث يتشتت به الجمع، ويهلك به العين، ويمحى به الأثر<sup>(4)</sup>. فهذا هو مفهوم الصراع وطبيعته، والذي يشير إلى أن هناك أطرافاً للصراع طرف يمثل الحق وطرف يمثل الباطل، وأن لكل طرف منهما من يمثله من القادة والأتباع، إذاً فما المقصود بالقيادة، وما دورها السلبي في تأجيج الصراع؟ ذلك ما سنتناوله في الأسطر القادمة.

### 1.3 المبحث الأول: مفهوم القيادة، وأهميتها.

#### المطلب الأول: تعريف القيادة لغة واصطلاحاً.

##### الفرع الأول: تعريف القيادة لغةً:

القيادة في اللغة: مصدر من قاد يقود. وهو قائد، وجمعه قادة و قوَاد، و أصلها (قَوْد) قال ابن منظور: "القَوْدُ: نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها و يسوقها من خلفها، فالقَوْد من أمام و السوق من خلف"<sup>(5)</sup>.

##### الفرع الثاني: تعريف القيادة اصطلاحاً:

للقيادة في الاصطلاح تعريفات متعددة غير متفق عليها كباقي الاصطلاحات في العلوم الاجتماعية " ولا يبعد تعريف القيادة في الاصطلاح عن معناها في اللغة، فقد جاء في معجم العلوم الاجتماعية تعريف القيادة بأنها: صفة تدل على هيئة

(1) ينظر: عاشور مجدي محمد، السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط، الطبعة: الثانية، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ت ط: 1428 هـ. 2007م، ( ص: 361، 362).

(2) ينظر: البنا أحمد بن محمد البنا، تحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق: شعبان محمد اسماعيل، الطبعة: الأولى، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ت ط: (1407 هـ. 1978م)، (1 / 446).

(3) ينظر: الألوسي أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة: الرابعة، دار إحياء التراث العربي، ت ط: (1405 هـ. 1985م)، (2 / 173).

(4) ينظر: الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة: الخامسة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ت ط: (1403 هـ، 1983م)، (2 / 306).

(5) ابن منظور، لسان العرب، (3 / 370).

نسبية بين شخص يقوم بعمل جماعي، وأشخاص يتبعون عمله، ويسيرون على مثاله لتحقيق غاية مشتركة، فيكون أحد الطرفين قائداً والآخر مقوداً<sup>(1)</sup>

ويمكن أن يقال في تعريفها إنها: عملية توجيهية لمجموعة من الأفراد نحو أهداف محددة، وأنَّ القائد بوجه عام هو كل من يقوم بتوجيه جماعة من الناس و السير بهم للوصول إلى أهداف محددة وسواء كان معتمداً في هذه القيادة على قدرات شخصية، أو التزام أدبي، أو سلطةً ممنوحة له.

وهي أيضاً: الأخذ بالزمام والسير نحو غاية مرسومة والقائد عند العرب الأقدمين هو: " المرشد، الدليل، الهادي"<sup>(2)</sup>، وقيل أيضاً: " هي القدرة على تحريك الناس نحو الهدف"<sup>(3)</sup>.

وعرفت أيضاً بأنها: " الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير على الآخرين، لتوجيههم إلى هدف معين بطريقة تحصل بها على ثقتهم واحترامهم، وطاعتهم وتعاونهم المخلص"<sup>(4)</sup>.

### التعريف المختار للقيادة:

عند النظر في التعاريف السابقة يتبين لنا أن أقربها وأوضحها هو التعريف الأخير، وهو أنَّ القيادة: فنٌ نستطيع بواسطته التأثير على الآخرين، وتوجيههم إلى هدف معين، بطريقة نحصل بها على ثقتهم واحترامهم، وطاعتهم وتعاونهم المخلص.

المطلب الثاني: معنى القيادة في القرآن الكريم، وأهميتها.

### الفرع الأول: معنى القيادة في القرآن الكريم.

يحمل معنى القيادة في الفكر الإسلامي بعضاً من المعاني المتعلقة بهداية الناس وإرشادهم وتولي أمورهم، ومن معانيها ما يلي: الإمامة، الإمارة، الولاية<sup>(5)</sup>، وعندما بحثت في آيات القرآن الكريم وتأملتها جيداً وجدت لفظة القيادة لم تذكر بلفظها أو مشتقاتها في القرآن مباشرة؛ لكنها ذكرت بطرق غير مباشرة، فلم يستخدم القرآن الكريم مصطلح القيادة بلفظها، كما لم يستخدم مشتقاتها على مستوى جذر الكلمة (ق و د)، أمّا مشتقات جذر (ق د و) فقد استخدمت مرتين فقط. قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۚ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ جَازًا ۖ إِنِّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَآثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾، { الزخرف: ٢٣ }.

وأما على مستوى المعنى مثل كلمة الإمامة ومشتقاتها: كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمَنْ يَّقِينِ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾، { الفرقان: ٧٤ }.

(1) بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، (ص: ٤٧٢).

(2) ألمانف جميل كاظم، القيادة والأزمة الحضارية، الطبعة: الأولى، (ص ٤٠).

(3) السويديان، طارق تعريف القيادة، الموقع الإلكتروني-53-<http://www.islamtoday.net/nawafeth/artsh>

(4) بصوص أحمد، فن القيادة في الإسلام، الطبعة: الأولى، (ص 28).

(5) للاستزادة حول تلك المعاني: ينظر: فرج الله محمد فتحي عبدالجواد، القيادة في ضوء القرآن الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أنموذجاً- دراسة استنباطية موضوعية-، رسالة ماجستير، التفسير والعلوم الإنسانية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، (1438هـ - 2016م)، (ص 13، 14).

وكلمة الحكم ومشتقاتها، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ١٦﴾، {الجاثية: ١٦}، وكلمة الخلافة، مثل قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ٣٦﴾، {ص: ٣٦}، وقد استعمل القرآن الكريم أيضاً مصطلح أمة مرة واحدة بمعنى القيادة، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٣٠﴾، {النحل: ١٣٠}، وكذلك من المصطلحات مصطلح الإسوة، فقد ورد في القرآن في ثلاثة مواضع منسوباً في أولها للرسول، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾، {الأحزاب: ٢١}، وفي ثانيها منوطاً بسيدنا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفَرْنَا بِكُمْ...﴾، {المتحنة: ٤}، وتم في ثالثها التأكيد على الإسوة بشكل عام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٦﴾، {المتحنة: ٦}.

#### الفرع الثاني: أهمية القيادة.

إنَّ للقيادة دوراً عظيماً في حياة الناس فيها تنظم حياة الناس وبها يقام العدل ويرفع الظلم إذا كان القائد عادلاً " وتُعد القيادة من ضروريات الاجتماعات البشرية، حيث لا تستطيع جماعة من الجماعات أن تعيش بطمأنينة، وتسير بانتظام دون قيادة، ولذا جاء توجيه النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم التأمير فقال: ((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم))<sup>(١)</sup>. وقال -عليه الصلاة والسلام-: ((ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم))<sup>(٢)</sup>، قال الخطابي: " إنما أمرهم ليكون أمرهم جميعاً، ولا يتفرق بهم الرأي، ولا يقع بينهم الاختلاف"<sup>(٣)</sup>، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع"<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الجهاد، باب: في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، برقم: (٢٦٠٨)، (٤/ ٢٤٩)، من حديث أبي سعيد، و أبي هريرة، وصححه الألباني. (ينظر: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مَحْمَدُ كَامِلُ قَرَه بَلَلِي، الطبعة: الأولى، دار الرسالة العالمية، ت ط: ( 1430 هـ - 2009 م)).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، برقم: (6647)، ( 205/6)، ينظر: أبو عبد الله الشيباني أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، ت ط: ( 1421 هـ - 2001 م).

(٣) الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد البستي، (388هـ)، معالم السنن، الطبعة الأولى، حلب، سوريا، المطبعة العلمية، ت ط: (1351هـ - 1932م)، (260/2).

(٤) ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، الطبعة: الأولى، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ت ط: ( 1418 هـ )، ( ص 129).

(٥) العمر وص عبد الله، المنهج في رعاية القادة في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة، الطبعة: الأولى، (ص ٦).

فإذا كان قد أوجب في أقل الاجتماعات أن يولى أحدهم كان هذا تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك، ومن يقرأ تاريخ الأمم، يعلم أن كل أمة عظيمة ورائها قيادة عظيمة، قادتها إلى بر الأمان، وجلبت الاستقرار لها، ونشرت العدل ومنعت الظلم عنها بقيادتها الحكيمة.

ف " القيادة شأنها عظيم وخطير، حتى عدّ البعض ضعف القيادة من أعظم مشاكل المسلمين المعاصرة، وقال: المسلمون إلى خير، ولكن الضعف في القيادة. وقال الآخر: القيادة شطر القضية، وشطرها الآخر الأمة بمجموع أفرادها.<sup>(1)</sup> " وما يدل على أهمية القيادة ما يظهر من أن صلاح شؤون الناس أو فسادها يتوقف غالباً على قادتها ومن بيده زمام أمرها، لما بيدهم من سلطة في تدبير الأمور وهيمنتهم عليها.

فإذا كان هؤلاء القادة ممن يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً؛ ساروا بالناس على طريق الخير والرشد والصلاح، فيكثر الخير، وتنتشر الفضائل، وتتنامى الحسنات، وتقوم المصالح.

أما إذا كانت القيادة بأيدي رجال انحرفوا عن طريق الاستقامة، وغفلوا عن الآخرة، واتبعوا الشهوات، وانغمسوا في الفجور - فلا محالة أن يسير نظام الحياة بقضه وقضيضه على البغي والعدوان والفحشاء، ويدب ديب الفساد والفوضى في الأفكار والنظريات، والعلوم والآداب والسياسة والمدنية والثقافة والأخلاق والمعاملات والعدالة، وتنمو السيئات ويستفحل أمرها- والتاريخ شاهد على تأثير القيادة على من تحت إمرتها بل وعلى من هم خارج نطاق ولايتها إذا قُدِّرَ لهم الاتصال بها<sup>(2)</sup>، فمن المعلوم أن القيادة هي قلب العمل وأداة الانسجام والتناغم وطريق المناقلة وحزام الربط، فوق أنها الرمز العاطفي الذي يملأ الحاجات النفسية لمن هم تحت قيادته<sup>(3)</sup>، كما أن القيادة هي حجر الزاوية في حياة المجتمعات البشرية<sup>(4)</sup>؛ لأن القادة هم الذين يخططون ويصنعون الأهداف والسياسات، وهم الذين ينظمون ويتابعون ويراقبون ويتخذون القرارات ثم هم الذين يوجهون ويصدرون التعليمات والإرشادات وفي ذلك تأكيداً لدور القائد ومكانته المؤثرة على من يقودهم سلباً وإيجاباً، وفي الأسطر القادمة سنسلط الضوء على التأثير والدور السلبي لقيادة فرعون...

### 2.3 المبحث الثاني: دور القيادة السلبية، وأدائها في تأجيج الصراع "قيادة فرعون أمودجاً"

#### المطلب الأول: دور القيادة الفرعونية في تأجيج الصراع.

لقد أجمع العلماء أن لبّ وجوهر فاعلية عملية القيادة هي التأثير المتبادل بين القائد والأتباع، والقيادة الناجحة هي التي تستطيع التأثير على سلوك الأفراد لتقوم بمهمتها في التوجيه والإرشاد وتحقيق أهداف الجماعة والعمل على تنميتها وتماسكها والمحافظة على قوة بنائها<sup>(5)</sup>، بعكس القيادة السلبية الفاشلة التي تعتقد أن القيادة تعني السطو والسيطرة أو التملك أو القوة أو المركز أو المكانة، فتراه يتهمها لها بشخصية أخرى ونفس متغيرة وحال غير الحال، وهذا ضرب من الخطأ ووهم يصاب به

(1) عبد العظيم سعيد عبد العظيم، تربية القادة لا تربية العبيد، الطبعة: الأولى، (ص 2-4).

(2) العمروس، المنهج في رعاية القادة في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة، (ص 6، 5)، والجملة الاعتراضية ينظر: المودودي، الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، الطبعة: الأولى، (ص9).

(3) ينظر: الراشد أحمد، صناعة الحياة، الطبعة: الأولى، السعودية، ت ط: (1989م)، (ص 115).

(4) ينظر: الأزهرى محي الدين، الإدارة ودور المديرين- أساسيات وسلوكيات، القاهرة، ت ط: (1413هـ - 1993م)، (ص248).

(5) ينظر: ماضي جمال، القيادة المؤثرة، الطبعة: الأولى، المدائن للنشر والتوزيع، ت ط: (1415هـ - 1995م)، (ص 10).

الضعاف من القادة أقزام الإيمان والفهم، وللوقوف بشكل مركز على الدور السلبي الذي تلعبه القيادة السلبية في الحياة البشرية، سنسلط الضوء على قيادة فرعون لبني إسرائيل مع ملئه، وكيف سخر كل ما مكنه الله من سلطة ومال وإعلام في سبيل استبدادهم واستعبادهم.

إنَّ من المؤكد أن يكون لهذه القيادة الفرعونية آثاراً عميقة نظراً لما تميّزت به من قساوة وعنف واضطهاد؛ فالمجتمع الذي تعرض لأقصى درجات الإذلال والاستعباد ولمدة طويلة ظهرت عليه آثار تلك الشخصية؛ ذلك أنَّ المقدمات الخبيثة والسيئة تنتج آثاراً خبيثة وسيئة، فالذي خبث لا يخرج إلاَّ نكداً، وهكذا كان فرعون في قيادته لقومه كثير الشر عديم الخير، وليس هذا مرتبطاً بقيادة فرعون فحسب، بل ستكون هذه الآثار في كلّ مرة يتعرض فيها المجتمع لمثل تلك القيادة، أو لمثل ذلك المنهج الذي أفرزته القيادة السلبية للمجتمع، وللوقوف على آثار قيادة فرعون لا بدَّ من استعراض لآيات القرآن الكريم التي ذكرت تلك الآثار بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كي نصل من خلال النظر فيها للدور الذي لعبته القيادة الفرعونية في تأجيج الصراع، فلقد كان لقيادة فرعون دوراً سلبياً، فقد أثّرت تلك القيادة أمراضاً اجتماعية وسلبيات عميقة عديدة؛ يمكن حصرها فيما يلي:

**الفرع الأول: إضلال قومه:** والضلال أن يُقصد: " اعتقاد الحق أو فعل الجميل أو قول الصدق فيظن بتقصيره وسوء تصرفه فيما كان باطلاً أنه حق فاعتقده، أو فيما هو قبيح أنه جميل وليس بجميل ففعله، أو فيما كان كذبا أنه صدق فقاله"<sup>(1)</sup>، فالضلال -إذاً- " فَقَدْ ما يوصل إلى المطلوب، وقيل: هو سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب"<sup>(2)</sup>.

إنَّه التيه والعبثية والجهل وفقدان القدرة على التفكير والنظر. فالتَّاس - حال الضلال - في ضياع تام، وهو ما سلكه فرعون بقومه، لقد أضلهم من أول أمره حتى نهايته، فقد سلك بهم مسلكاً أوصلهم إلى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معاً، حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الأخروي، وما أرشدهم قط إلى طريق موصل إلى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية، وهو تقرير لإضلاله وتأكيده له إذ رُبَّ مضلٍ قد يرشد من يضلّه إلى بعض مطالبه<sup>(3)</sup>، وليس فرعون من هذا النوع، بل إنَّ أمره كُلُّه ضلال ليس بعده هدى، يقول تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾<sup>(٧٩)</sup>، { طه: ٧٩ }، أي: أضلهم عن الرشد وأضلهم في الدِّين، وما هداهم إلى خير ولا نجاة<sup>(4)</sup>، وهو تهكم به وجواب قوله:

(1) المناوي زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الطبعة: الأولى، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ت ط: ( 1356هـ )، ( 202/1).

(2) المناوي زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، الطبعة: الأولى، القاهرة، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، ت ط: ( 1410هـ - 1990م )، ( ص 223).

(3) ينظر: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (32/6).

(4) ينظر: القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ت ط: ( 1384 هـ - 1964 م )، ( 299/11)، الأنصاري زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة: الأولى، بيروت، لبنان، دار القرآن الكريم، ت ط: ( 1403 هـ - 1983 م )، ( ص 366).

﴿... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٢٩﴾، { غافر: ٢٩ }، فكذبه الله تعالى<sup>(١)</sup>؛ ذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار بأمرهم بالكفر بالله وتكذيب رسله، وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى ﷺ والتصديق به فأطاعوه، فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا باتباعهم إياه<sup>(٢)</sup>. إنَّ الضلال يُنتج بشراً لا يدركون سبب وجودهم ولا غاية خلقهم، يعيشون ويموتون دون هدف أو غاية، ثمَّ تنعكس تلك الحالة العبثية أمراضاً نفسية تأكل الناس وتُحيل حياتهم إلى جحيم؛ فالضلال حيرة وتيه تفقد الأمة بسببه القدرة على تحديد نقطة الانطلاق نحو الهدف، فلا تعود قادرة على التمييز بين الغث والسمين، حينئذ يعيش النَّاس حياة بهيمية بل أقل درجة، لقد ظهرت آثار التيه والضياع وانعدام القدرة على التمييز على الجماهير - المألأ - في ظلِّ قيادة فرعون، وليس أدلَّ على هذا من طاعتهم لفرعون رغباً ورهباً في افتراءه وزعمه للالهوية والربوبية، فإنه لا يمكن لفرعون ولا لغيره أن يفكر مجرد تفكير في طرح هذه الفرية لولا أن رأى من قومه القابلية للقبول أو السكوت في أسوأ تقدير، ولا شك في أنَّ قوماً تابعوا فرعون على فريته الكبرى وكذبوا موسى ﷺ بعد أن عاينوا الحق الساطع على يديه لهم أجهل الخلق وأحمق النَّاس وأسفهم، ثمَّ وصل بهم الشلل الفكري وانعدام النظر أن شكَّوا في موت فرعون؛ وذلك بسبب ما تعرَّض له بنو إسرائيل في ظلِّ فرعون حيث دخل في نفوسهم من عظمتهم ما حُبل إليهم أنه لا يهلك؛ ذلك أنَّهم كذبوا موسى ﷺ حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه جثة هامدة على الساحل، حيث أمر الله تعالى البحر أن يلقى به جسده سوياً بلا روح وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض - وهو المكان المرتفع - ليتحققوا موته وهلاكه<sup>(٣)</sup>، ولم يكن هذا التصور وهذا الاعتقاد إلا نتيجة لجهلهم وسفاهة عقولهم وفساد عقائدهم، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ٥٠﴾، { البقرة: ٥٠ }، والشاهد في الآية قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾، وذلك " أنَّ الله تعالى لما أنجاهم وأغرق عدوهم، قالوا يا موسى: إنَّ قلوبنا لا تطمئنُّ أنَّ فرعون قد غرق، حتى أمر الله البحر فلفظه فنظروا إليه"<sup>(٤)</sup>، والمعنى أنَّهم وصلوا بسبب جهلهم وضلالهم حداً يتصورون أنَّ فرعون لا يموت! أي: قد خالَج قلوبهم أنه ربما يكون إلهاً! وبسبب هذا التصور الأحمق نجَّ الله فرعون ببدنه، يقول تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنْجِيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ٩٢﴾، { يونس: ٩٢ }، أي: لتكون لمن وراءك علامة، وهم بنو إسرائيل ومن بقي من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق ولم ينته إليه هذا الخير، لكي يعتبروا بك فينزعجوا عن معصية الله والكفر به والسعي في أرضه بالفساد<sup>(٥)</sup>.

(1) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ( 299/11).

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان، (345/18) بتصرف يسير.

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان، ( 194/15)، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة: الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ت ط: ( 1420 - 1999 م). (255/4)، أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (4/ 174).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (392/1).

(5) ينظر: الطبري، جامع البيان، ( 194/15)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (381/8).

ومن دلائل ضلالهم تعظيمهم للسحر والسحرة، ويظهر هذا من قول السحرة: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ {طه: ٦٣}، والمعنى أن: السحرة قد أفلقهم موسى وهارون، وأصبحت مراكزهم مهددة بالانهيار، وذلك معنى قولهم: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾، أي: "ويستبدا بهذه الطريقة وهي السحر، فإنهم كانوا مُعَظَّمِينَ بسببها"<sup>(1)</sup>، والشاهد أن تعظيم السحرة ما كان إلا لجهل الجماهير وسفاهتها، وكيف لا يكون جهلاً والحق جل شأنه يقول: ﴿...وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى﴾ {طه: ٦٩}، أي: لا يفلح حيث كان وأين أقبل<sup>(2)</sup>. إن ضعف الوعي والتعود على بلادة التفكير أدى ببني إسرائيل بعد أن خرجوا من ظل فرعون وتحرروا من قوة فرعون الظاهرة أن يعبدوا العجل، بل ويطلبون من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما لعبدة الأصنام آلهة، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ {الأعراف: ١٣٨}، " فلم تزجرهم تلك الآيات ولم تعظم تلك العبر والبيانات"<sup>(3)</sup>؛ ذلك أنهم تعرضوا إلى مسخ في الفكر والوعي، فلا علم عندهم ولا معرفة، مما يؤكد لنا أن المرض قد استقر في قلوبهم يقول تعالى: ﴿... وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ...﴾ {البقرة: ٩٣}، أي: تداخلهم حبه، ورسخ في قلوبهم وعقولهم صورته لفرط شغفهم به، كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن<sup>(4)</sup>، وهكذا وصل جهلهم حدّ الإشباع والتشبع! فما إن تركهم موسى عليه السلام أياماً معدودات حتى عاد إليهم وقد عبدوا العجل من دون الله، مما يكشف عن مدى ما أصابهم من الخلل النفسي والسفه العقلي والفساد الفكري بسبب قيادة فرعون لهم، يقول تعالى: ﴿... ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ {البقرة: ٥١}، فمع ما تعرضوا له من استجهال لا يُعفيهم من المسؤولية بعدما تبين لهم الحق، فكل من علم الحق وجب عليه اتباعه، ومن أعرض عنه فهو من الظالمين.

**الفرع الثاني: استمراء الذل.** وأعني بذلك أن يصبح الذل مستساغاً مستطاباً، فلا يشعر المستذل بوجعه ولا ألمه، وهو نتيجة ملازمة لما تعرضت له الجماهير في ظل شخصية فرعون من إذلال وقهر متواصل مستمر ومتعدد الوجوه، حتى أن القرآن الكريم وصف فرعون بالعذاب المهين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ {٢٠} من فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ {٣١}، {الدخان: ٣٠ - ٣١}، والشاهد في الآية أن: بني إسرائيل تعرضوا للعذاب المهين، أي: المذل لهم، وهو استعبادهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وتسخيرهم وتكليفهم الأعمال الشاقة، وكفى بذلك إهانة لهم وإذلالاً<sup>(5)</sup>.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (265/5).

(2) ينظر: أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (28/6)، الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (541/8).

(3) الطبري، جامع البيان، (80/13).

(4) ينظر: البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت ط: (1418 هـ)، (ص 94)، أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (131/1).

(5) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (142/16)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (102/5)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (235/7)،

الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، بيروت، دار

الكتاب العربي، ت ط: (- 1422 هـ)، (92/4)، الألوسي، روح المعاني، (180/7).

إنَّ العيش في ظلِّ القيادة السلبية أمداً طويلاً ومعاناة الإرهاب والخوف والملاحقة والمطاردة والسجون أفسد نفوسهم وقلوبهم وطبائعهم، وأدى إلى انعكاسات نفسية خطيرة حيث تعودوا على هذا الذل وهذه الإهانة فلم يعودوا يفكرون في التمرد عليها، فقد استمروا الذل فأصبح في نفوسهم أمراً طبيعياً، ولهذا رفض بنو إسرائيل القتال مع موسى عليه السلام، وقالوا صريحة حين استنفرهم موسى عليه السلام للجهاد، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ { المائدة: ٢٤ }، فأبوا وخالفوا وفضلوا القعود والاستجداء على النزول إلى ميادين الجهاد، فقد تعود القوم على القعود، فلا همة عندهم ولا عزيمة، وليس عندهم ثقة بأنفسهم، فكل ما يملأ عقولهم وقلوبهم هو الخضوع والخنوع، ولهذا كانت عقوبتهم التي أربعين سنة، ليخرج جيلاً آخر لم يتعرض لتلك الحياة المذلة والمهينة التي سببت لهم تلك الانتكاسة النفسية، يقول تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾ { المائدة: ٢٦ }<sup>(1)</sup>؛ لأنَّ " الاستبعاد الطويل والذل الطويل في ظل الفرعونية الوثنية كان قد أفسد طبيعة القوم وأضعف استعدادهم لاحتمال التكاليف والصبر عليها والوفاء بالعهد والثبات عليه، وترك في كيأنهم النفسي خلخلة واستعداداً للانقياد والتقليد المريح، فما يكاد موسى يتركهم في رعاية هارون ويبعد عنهم قليلاً حتى تتخلخل عقيدتهم كلها وتنهار أمام أول اختبار، ولم يكن بد من اختبارات متوالية وابتلاءات متكررة لإعادة بنائهم النفسي، وكان أول ابتلاء هو ابتلاءهم بالعجل الذي صنعه لهم السامري"<sup>(2)</sup>.

**وفي النظر للدور الذي تلعبه القيادة السلبية وإنتاجها قاعدة جماهيرية تستمرى الذل والإهانة** تفسير شافٍ لما تعيشه الأمة من ذل وهوان، فلو أنهم بذلوا أقلَّ من تلك التضحيات التي يدفعونها أذلاء للطاغوت، ولو أنهم بذلوا في سبيل الله لخلصهم الله مما هم فيه! وكما أنه يُبين أنَّ استصلاح النفوس المستذلة أمر في غاية الصعوبة، يحتاج إلى جلد ومعاناة كبيرة؛ ذلك أنَّ استمراء الذل مرض عضال، فكيف يتمرد المستذل على وضع يراه طبيعياً واعتيادياً؟ حتى يُجِلَّ إليه أنَّ الحياة بهذا اللون الذي لا يمكن تغييره، وقد يصل بعض المستذلين حدًّا يُعظمون الباغي الظالم ويُجلُّونه، بينما إذا قام المظلوم برد الأذى عن نفسه اتهموه بالفتنة والوقاحة والتطاول.

**الفرع الثالث تقسيم المجتمع تقسيماً طبقياً.** إنَّ وجود صراع داخلي بين طبقات المجتمع، وحرص كل طبقة على مصالحها يؤدي حتماً إلى تمزيق المجتمع وتفكيك الروابط الإنسانية فيه، ويُساعد الطاغوت على البقاء والتحكم؛ وهي العلة الكامنة وراء سعيه الدائم في اختلاق الأزمات الداخلية، ونشر النزاعات المختلفة بين الحين والآخر ضمن مخطط ومنهج مدروس تعني به عقول شيطانية خاصة، ويعتمد في ذلك على ففة مأجورة مستفيدة لتخريب المجتمع وتفتيته، ولعلَّ هذا يُوضِّح لنا لماذا جعل فرعون أهل مصر شيعاً.

إنَّ تفتيت المجتمع وتحويله إلى طبقات متناحرة متباغضة متنافرة أو إلى أفراد لا يربط بينهم رابط هدف وغاية كما هو الحال في مناهج الطواغيت المطبقة حالياً، فرعون- كما هو الحال عند كل الطواغيت- لا يعيش إلا في مجتمع مريض

(1) ينظر: الزرقاني محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة: الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (412/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (65/3).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، (2346/4).

مشردم متصادم الأغراض والأهواء والمصالح، تسوده الكراهية والحقد والعدوانية! ولهذا عمد الملعون أثناء قيادته لبني إسرائيل إلى سياسة التفريق بين الناس، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤٠﴾، {القصص: ٤}، أي: "فرقاً يشيعونه فيما يريد أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه استعمال كل صنف في عمل، أو أحزاباً بأن أغرى بينهم العداوة كي لا يتفقوا عليه" (1)، فهو يقرب فئة ويستذل أخرى، فهناك طبقة راقية وطبقة منحطة! ممّا يضمن له عدم اتفاق الناس عليه، بل إنّ الفئات المستفيدة ستدافع عن النظام الذي يمثل مصالحها وامتيازاتها، ولم تكن تلك الفئات على نفس درجة القرب من الحكومة، فهناك الطبقة الحاكمة حيث يتربع على رأس هرمها فرعون، ومن دونه هامان وزيره وأقرب الناس إليه، ومن دونه طبقة الأشراف وهم الملأ من آل فرعون، ويمثلون بطانته وحاشيته والمقربين من القصور، ومن دونهم آل فرعون، ومن دونهم طبقة الكهنة والسحرة، حيث يمثل السحرة قمة هذه الطبقة، ومن دونهم قوم فرعون، ثمّ بنو إسرائيل والذين يمثّلون قاعدة الهرم في النظام الطبقي الفرعوني، وهم الطبقة المسحوقة.

ومع توالي الزمن ودوران الأيام ازدادت الهوة بين الأشراف! والمسحوقين، وازدادت الفروق النفسية والاجتماعية والمستويات المعيشية، وانعكست تلك الفروق على السلوك العام وترسخت في أذهان الناس وكأنّها قدر لا ترد! أو كأنّها جزء من سنّة الحياة! وليس أدلّ على ذلك من قول فرعون عن موسى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾، {الزخرف: ٥٢}، فهو بزعمه أفضل من هذا الذي هو ضعيف لقلة ماله، وأنّه ليس له من الملك والسلطان شيء (2)، وكأنّ الجواب حاضر في نفوس المخاطبين الذين استقرت في أعماقهم المفاهيم الطبقيّة، فالذي يملك المال والسلطان وينتمي إلى طبقة الآلهة والأشراف - عندهم - خير ممّن لا يملك من حطام الدنيا شيء، وبالطبع لم يكن هذا الجواب الحاضر لولا تطاول الزمن على الجماهير وهي تتلّ تحت وطأة الجلاّد.

ومن الشواهد التي تؤكد لنا استقرار هذا المرض الاجتماعي الذي أنتجته قيادة فرعون ما ردّ به الملأ من آل فرعون على دعوة موسى عليه السلام، حين قالوا: ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ٤٧﴾، {المؤمنون: ٤٧}، أي: وقومهما من بني إسرائيل لنا عابدون يعنون أنهم لهم مطيعون متذلّلون يأتمرون لأمرهم ويدينون لهم (3)، فالمنع من الإيمان بهما أنّهما من طبقة دون طبقة الملأ من قوم فرعون وآله، وهي ذات القيم التي تذرّع بها قوم نوح حين قالوا: ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ١١١﴾، {الشعراء: ١١١}، أي: الأقلون جاهاً ومالاً (4)؛ فتلك هي القيم الرخيصة التي يُفرزها المجتمع الطبقي بسبب الدور السلبي الذي تلعبه القيادة.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (171/4).

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان، (618/21).

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان، (35/19، 36)، الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، الطبعة: الأولى، دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، ت ط: (1414 هـ)، (574/3)، ابن الجوزي، زاد المسير، (263/3).

(4) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (144/4)، الشوكاني، فتح القدير، (126/4).

**الفرع الرابع: طغيان المفهوم المادي للحياة.** إنَّ فرعون أثناء قيادته لبني إسرائيل مهَّد السبيل لنفسه، وأوجد الأرضية القابلة لاستقبال مفاهيمه وأفكاره، فها هو فرعون يُخاطب الجماهير المهيَّئة للتجاوب مع أطروحاته، ويضرب على الوتر الحساس الذي تتفاعل معه الحشود المنبهرة بما عنده من زينة وأموال، وذلك في معرض رده على موسى عليه السلام، فهو يتوقع مسبقاً مدى تأثير ذلك الخطاب على تلك الجماهير، يقول تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْنَ آلِيَّكُمْ لِي مَلِكٌ وَمَضَىٰ وَهَٰذَا الْأَنهَارُ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِ أَفْلا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ {الزخرف: ٥١}، وأراد بذلك أن يبهرهم بما عنده من متاع الدنيا الزائل في ظرف طغت فيه المفاهيم المادية على كل شيء، ثمَّ يزيدهم في الحجة والبرهان الزائفين، بقوله: ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ {الزخرف: ٥٣}، أي: فهلا ألقى على موسى إن كان صادقاً أنَّه رسول رب العالمين أسورة من ذهب (1)، فاستخف عقولهم بهذا فأطاعوه؛ لأنَّ من اقتصر نظره على الدنيا لا عقل عنده ولا بصر، ولقد علم فرعون الحقيقة كلها: علم أنَّه ليس على شيء، فلا حجة عنده ولا برهان، وعلم - في المقابل - سفاهة من يخاطبهم وشدة تعلقهم بالدنيا، فأراد أن يبهرهم بما ينبهرون به من زخارف الأرض كي لا يُبصروا الحقيقة التي يخشاها؛ ذلك أنَّ التعلق بالدنيا يُفقد الإنسان القدرة على استيعاب الحقائق، ويُصاب بقصر النظر بل وانعدامه.

**وليس أدلَّ على طغيان المفهوم المادي من موقف السحرة عندما استدعاهم فرعون لمعارضة موسى عليه السلام بسحرمهم، فكان مطلب السحرة الوحيد والهَمَّ الغالب هو الأجر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ {الشعراء: ٤١}، أي: جعلاً ومالاً؛ ذلك أنَّ طغيان المفهوم المادي قد سيطر على قلوبهم وعقولهم، فجعلهم يرغبون في الجمع والمنع والحرص على الدنيا (2)، ومن هنا نفهم سبب تملق الجماهير المصابة بهذا الداء للحكومة وتزلفها لها، فغايتها نيل المطلوب وهو الدرهم والدينار، فليس هناك غاية أبعد من هذه وأبقى ! ثمَّ تستغل القيادة المرض الذي أنشأته، فتقرب طائفة وتستذل أخرى، ويشتد السباق بين الجماهير لإرضاء وليِّ النعمة ومن في جعبته مال الدولة، ومن هنا كان هذا المرض أثراً للقيادة السلبية وسبباً في بقاءه واستمراره.**

**الفرع الخامس: إشغال الناس بما يضر ولا ينفع.** إنَّ إشغال الجماهير وسيلة لإبعادها عن إدراك واقعها المر، فتعيش حياتها لاهية غافلة لا هدف ولا قضية ولا غاية، فهي في لُهو باطل لا خير فيه، حتى إذا جاءهم الحق استقبلوه بالهزاء والسخرية، "لتنهاي غفلتهم، وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب" (3)؛ ذلك لأنَّ قلوبهم لاهية غافلة، يقول تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ...﴾ {الأنبياء: ٢ - ٣}، وهي حالة ترضى عنها الحكومة وترعاها! فتارة يلهيهم الطاغوت بما في ظاهره متعة ولكنها مضللة، كالمهرجانات والمباريات والاحتفالات... فهذا هو فرعون يُحمّس الجماهير لحضور المباراة التاريخية المشهورة بين موسى عليه السلام وبين السحرة...

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان، (619/21)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (100/16)، البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت ط: (1420 هـ)، (164/4).

(2) ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (220/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (410/3).

(3) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (45/4)، أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (54/6).

وتظهر من التعبير حركة الإهاجة والتحميس للجماهير، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ (٣٨) لَعَلَّآ نَنْبِغُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾، {الشعراء: ٣٩ - ٤٠}، "هل لكم في التجمع وعدم التخلف عن الموعد، لنترقب فوز السحرة وغلبتهم على موسى الاسرائيلي! والجماهير دائماً تتجمع لمثل هذه الأمور، دون أن تدرك ما وراء هذه السياسة، فالطواغيت يشغلونها بهذه المباريات والاحتفالات والتجمعات، ليلهوها عما تعاني من ظلم وكبت وبؤس" (1).

إنَّ إشغال النَّاس وإبعادهم عن الأحداث بقضايا تافهة، أو تشكيكهم بالعقيدة التي قد تشكل خطراً على الأوضاع القائمة على الباطل، أو حتى تشويهها واللغو المتعمد فيها لتعكير صفائها ونقاها... كل ذلك وأبعد منه يحاوله فرعون بمكر وخداع، فعندما قال مؤمن آل فرعون ما قال، وخاف فرعون أن يتمكن كلام هذا المؤمن في قلوب القوم، أوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد، فإن بان له صوابه لم يخفه عنهم، وإن لم يصح ثبتهم على دينهم، فأمر وزيره هامان ببناء الصرح (2) ولقد رأى فرعون ببناء الصرح ما يشغل الناس ويُلهمهم، فأمر هامان ببنائه، كما حكى الله عنه قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا أَمَلْتُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمُنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٨)، {القصص: ٣٨}، أي: قصرًا طويلًا لعلني أبلغ أبواب السموات وأطرافها التي توصلني إليها (3)، وأراد بصنيعه هذا أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه والسلام (4)، فاعترف الطاغوت بالحق أمر في غاية الصعوبة، لذا رجع إلى تكبره وتجبره وإيهام قومه بكمال اقتداره (5)، فهو - لعنه الله - يشغلهم بشيء يعلم هو قبل غيره أن لا فائدة من بنائه، ولكنه أراد أن يُيهزهم بما يصنع، وأن يشغلهم بتلك الألاعيب عن الحقائق والبيانات التي جرت على يد موسى، وفي هذا التصرف من فرعون إشارة إلى انحطاط الوعي العام عند الجماهير.

ومن وسائل اللهو كثرة الأعياد والمناسبات، فعيد للشجرة وعيد للجلوس وعيد للأُم...! وهكذا دواليك، ولم يكن فرعون شاذاً عن هذه القاعدة بل كان له يوم الزينة، وكان يوم عيد من أعيادهم ومجتمع لهم (6)، وذلك ما يُرشد إليه قوله تعالى حكاية لقول موسى عندما طلب منه فرعون تعيين يوم للمباراة مع السحرة: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (٥٩)، {طه: ٥٩}، وهذا الاختيار من موسى عليه السلام يدلُّ على كثرة الناس المجتمعين في ذلك اليوم، حيث يخرج الناس إلى الأماكن العامة المكشوفة.

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، (5/ 2595).

(2) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (314/15).

(3) ينظر: الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (المتوفى: 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة: الأولى، دمشق - بيروت، دار القلم - الدار الشامية، ت ط: (1415 هـ)، (2/ 945).

(4) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (131/7).

(5) الشوكاني، فتح القدير، (200/4).

(6) ينظر: الطبري، جامع البيان، (324/18)، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (المتوفى: 774هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر، ت ط: (1407 هـ - 1986 م)، (294/1).

## المطلب الثاني: أدوات القيادة الفرعونية في تأجيج الصراع.

لقد أثمرت قيادة فرعون السلبية لبني إسرائيل تلك الأمراض ساعده في ذلك عوامل وأدوات ساهمت بدورها إلى إطالة أمد الصراع وتأجيجيه في شتى مجالات الحياة، وعدم الوصول إلى حلول جذرية ورأب الصدع، ساعده في ذلك الملأ الذين كان لهم دور في كل خطوة يخطوها فرعون، فقد كانوا أدواته التنفيذية والمباشرة في قيادة بني إسرائيل، ولا يقل دورهم السليبي عن دور فرعون، إضافة إلى قوته العسكرية والمالية، وهو ما سنبينه في الأسطر القادمة.

### الفرع الأول: ملأ فرعون ودورهم في تأجيج الصراع.

**أولاً: ملأ فرعون:** إنَّ القائد - أيّاً كان هذا القائد - فهو فرد، وليس بمقدور الفرد مهما أوتي من قدرات ومميّزات أن يسيطر على الناس بمفرده، ولا أن يدير دفة الحكم ويرعى شؤون الدولة وحده، فلكي يكون قادراً على السيطرة أو على رعاية الأمة لا بدّ له من أعوان يساعدونه في إدارة الحكم والحفاظة على النظام وغير ذلك كثير.

ولما كان فرعون فرداً لا يستطيع أن يفرض نظامه بمفرده كان لا بدّ له من أعوان يساندونه ويشاركونه، وهم بذلك سبب في ظهور هذه الشخصية المنحرفة، فلولاهم لما تفرعن فرعون وطغى وتجبر، وفي المقابل لا بدّ من جمهور يتقبل هذا الذل، ولن تخضع الجماهير للذل إلا إذا كانت فاسقة، فيكون فسق الأغلبية سبباً في انتفاش الباطل وسيطرته، ولما اجتمع لفرعون فسق الجمهور ومشاركة المنتفعين المتزلفين تمكّن؛ ويمكننا من خلال صراع موسى عليه السلام مع فرعون أن نحدد المشاركين والمساندين لفرعون في قيادته لبني إسرائيل الذين ساهموا في إبراز شخصيته وإظهارها، وهم:

**- هامان:** والذي يمثل أقرب الناس إلى فرعون، فهو " وزيره ومدبر رعيته ومشير دولته" <sup>(1)</sup> وساعده الأيمن، والشخصية الثانية في هرم الحكومة، حيث نص القرآن الكريم على أنه شريك في الخطيئة، حيث يقول تعالى: ﴿فَالْقَظَّةُ ۚ أَلْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ { القصص: ٨ }، أي: كانوا خاطئين آثمين في كل شيء، في أفعالهم وأقوالهم، ومذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم، ليكون لهم عدواً وحزناً <sup>(2)</sup>، وهامان شريك في كل ذلك فقد جمعه النص مع فرعون في الإثم والعقوبة، وهامان هو الذي يُسوّق دجل فرعون، ويشترك معه في خداع الناس وتضليلهم، فبعد أن أعلن فرعون عدم علمه بإله غيره، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُنْ أَبْنِي لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ { غافر: ٣٦ }، وهامان هو الذي يُسوّق دجل فرعون، ويشترك معه في خداع الناس وتضليلهم، كما سيأتي معنا لاحقاً.

**- الأسرة الحاكمة:** وتشمل الملأ من قوم فرعون وآل فرعون وقومه، الأسرة الحاكمة من الفئات المشاركة والمساندة لحكم فرعون، وهم الفراعنة، وهي: " الأسر التي حكمت مصر منذ: ( 3100 )، قبل الميلاد وحتى السيطرة الرومانية في القرن

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (214/6).

(2) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (172/4)، الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (257/10).

الأول قبل الميلاد"<sup>(1)</sup>، وذكر أنّ الذين ملكوا مصر - باتفاق كثير من أهل التاريخ على اختلاف بينهم - من الفراعنة اثنان وثلاثون فرعوناً<sup>(2)</sup>، ممّا يدلّ على طول مدة حكم الفراعنة، وتشكّل الأسرة الحاكمة من الفئات التالية:

- **الملاّ من قوم فرعون**، وهم: أشرف القوم ورؤساءهم وسادتهم وقادتهم والكبراء منهم<sup>(3)</sup>، فالملاّ "أشراف قوم فرعون ورؤساءهم"<sup>(4)</sup>، وهم أهل مشورته ورؤساء دولته<sup>(5)</sup>، وهم البطانة والحاشية المقربة المستقرون حول فرعون، والجلساء الخاصون من أشرف قومه<sup>(6)</sup>

- **آل فرعون**: هم: قيل: أهله وعياله، وقالوا: الآل ليس بمعنى الأهل؛ لأنّ الأهل القرابة، والآل من يؤول إليك في قرابة أو رأى أو مذهب<sup>(7)</sup>، فالآل - على هذا القول - هم الأتباع، وهم: الذين كانوا على منهجه وطريقته في الكفر بالله من قومه<sup>(8)</sup>، والظاهر أنّ آل فرعون أطلق على أهل بيته وعلى الأتباع؛ فال فرعون قومه وأهل دينه<sup>(9)</sup>

- **قوم فرعون**: وهم: قبط مصر<sup>(10)</sup>، وهم القاعدة العريضة في الأسرة الحاكمة التي تساند فرعون.

- **السحرة**: لقد ساهم السحرة في انحراف فرعون، حيث كان الفراعنة يعتمدون في وثنيّتهم على الكهنة والسحرة، بل نستطيع القول أنّ السحرة كانوا يمثلون المرتبة الأولى في طبقة الكهنة، في واقع انتشر فيه السحر انتشاراً واسعاً<sup>(11)</sup>.

**ثانياً: دور ملاّ فرعون في تأجيج الصراع.**

لقد تمثل دور الملاّ في المشاركة العملية مع فرعون في قيادة بني إسرائيل، فمن أجل مصالحهم شاركوا في تثبيت النظام، فهم جشعون نفيعون وصوليون، ولهذا دعموا فرعون في موقفه من موسى عليه السلام والدعوة الجديدة، فهم ممتنعون عن قبول الحق رافضون له كما تقدم، ويعلنون اتّباعهم لفرعون ومنهجه وطريقته حكمه، ثمّ بعد هذا يشاركون عملياً في تصريف شؤون الحكم والدولة، ويحافظون على النظام، حتى أنّ النصّ القرآني - في أول إشارة منه إلى طبيعة مشاركتهم - لم يذكر معهم

(1) الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، الطبعة: الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ت ط: (1983م)، (4/482).

(2) ينظر: جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، (المتوفى: 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، (1/60).

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان، (574/19)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (231/6)، الشوكاني، فتح القدير، (247/2).

(4) الطبري، جامع البيان، (574/19).

(5) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (23/5)، الشوكاني، فتح القدير، (4/158).

(6) ينظر: ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (المتوفى: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة: الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ت ط: (1417هـ - 1997م)، (1/140).

(7) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (254/1)، مع بعض التصرف، وقيل: الآل بمعنى الأهل وألفه بدل من هاء وتصغيره أهيل، وقيل: الآل من يؤول إليك في قرابة أو رأي أو مذهب، فألفه بدل من واو، وتصغيره أويل. قال الأخفش لا يضاف إلّا إلى الرئيس الأعظم نحو آل محمد وآل فرعون لأنه رئيسهم في الضلالة، (( ينظر: ابن الهائم أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، (المتوفى: 815هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: د ضاحي عبد الباقي محمد، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ت ط: (1423 هـ)، (73/1)).

(8) ينظر: الطبري، جامع البيان، (85/13).

(9) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، (73/1).

(10) ينظر: الطبري، جامع البيان، (137/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (231/7)، ابن كثير، البداية والنهاية، (268/1).

(11) ينظر: المرجع السابق، (254/1).

فرعون، فكأن ما قاموا به من مؤامرة على موسى ﷺ يقع ضمن صلاحياتهم، أو أنهم بادروا من تلقاء أنفسهم لحماية الحكومة للتدليل على مدى إخلاصهم لفرعون، وكان ذلك عندما وكر موسى ﷺ لقبطي دفاعاً عن مظلوم من بني قومه فقضى عليه، " لقد عرف الملاء من قوم فرعون، وهم رجال حاشيته وحكومته والمقربون إليه أنها فعلة موسى، وما من شك أنهم أحسوا فيها بشبح الخطر، فهي فعلة طابعها الثورة والتمرد، والانتصار لبني إسرائيل؛ فهي ظاهرة خطيرة تستحق التأمر، ولو كانت جريمة قتل عادية ما استحققت أن يشتغل بها الملاء والكبراء"<sup>(1)</sup>، وفي هذا دليل على مدى حرصهم على نظام فرعون، وحزمهم في القضاء على أي نوع من التملل الذي ينذر بالتمرد على النظام.

فها هم يديرون المؤامرة في الخفاء لقتل موسى ﷺ، فالقتل جزء من المعالجة لأي تمرّد قد يقع، كما أنه وسيلة لإرهاب من تحدّثه نفسه بالخروج على النظام، ويتسرب الخبر إلى رجل يميل بقلبه إلى دعوة موسى ﷺ، فينطلق إليه مخبراً، " ذكّر أنّ قول الإسرائيلي سمعه سامع فأفشاه وأعلم به أهل القتل، فحينئذ طلب فرعون موسى وأمر بقتله، فلما أمر بقتله جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره، وأشار عليه بالخروج من مصر بلد فرعون وقومه"<sup>(2)</sup>، وهذا ما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝٢٠﴾ {القصص: ٢٠}، أي: إنّ الملاء - وهم وجوه أهل دولة فرعون - يأتُمرون بك، أي: يتشاورون بسببك، وإنّما سمي التشاور ائتماراً؛ لأنّ كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر ليقْتُلوك، فخرج من المدينة قبل أن يظفروا بك إنّ لك من الناصحين<sup>(3)</sup>

ومن مظاهر مشاركتهم ومساندتهم لفرعون ترديدهم لكلامه وتبنيهم لمواقفه وسيرهم على نهجه، فهم مستقرون حول فرعون - في مشهد يوحى بمدى قربهم منه وملاصقتهم له - يستمعون لخطابه في معرض ردّه على موسى ﷺ، حيث يقول لهم: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝٢٠﴾ {الشعراء: ٣٥}، وقصد - لعنه الله - تنفيرهم عن موسى ﷺ بتذكيرهم بسلطانهم وملكهم المهدد على يديه، من خلال نسبة الإخراج من الأرض إليهم<sup>(4)</sup>، وسرعان ما وافقوه وقالوا كميّالته، فلكل طاغية أبواق تنعق بما تعلم ولا تعلم، يشاركون في التزوير والتضليل دعاة على أبواب جهنم<sup>(5)</sup>، يقول تعالى: ﴿قَالَ أَلَمَّا مِّن قَوْمٍ لِّفِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۝١٩ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝٢٠﴾ {القصص: ١٩، ٢٠}

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، (2685/5).

(2) الطبري، جامع البيان، (545/19).

(3) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (174/4)، أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (7/7).

(4) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (137/4)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (409/3).

(5) روى البخاري من حديث أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: "ثم كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها. قلت يا رسول الله: صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: الرم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك (( ينظر: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، برقم: (7084)، (51/9)).

{الأعراف: ١٠٩ - ١١٠}، فتشاوروا كيف يصنعون في أمره، فلما تشاوروا في شأنه واثتمروا فيه اتفق رأيهم على تأخير النزال والتحشيد لذلك من جميع أنحاء مملكة فرعون<sup>(١)</sup>، وهو ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (١١٢) ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ﴾ (١١٣)، {الأعراف: ١١١ - ١١٢}، وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٦) ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ﴾ (٣٧)، {الشعراء: ٣٦ - ٣٧}، فهم حوله يستشيرهم فلا ييخلون عليه بالمشورة.

وقام الملأ بدور التحريض، ممّا يدلُّ على شدة حرصهم على النظام القائم، فمصيبرهم مرتبط بمصير فرعون، أو كما قيل: إنهم في قارب واحد، وهو دور خطير، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدَرُونَ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ فَتُسَمَّىٰ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (١٢٧)، {الأعراف: ١٢٧}، أي: تدعهم ليفسدوا في الأرض بتغيير الناس عليك ودعوتهم إلى مخالفتك وعبادة ربهم دونك، فتحدث الفرقة وتشتت الشمل، ويفسدوا عليك خدمك! وعبيدك، فيحدث الفساد الديني والدنيوي، فصار هؤلاء يشفقون على إفساد موسى وقومه<sup>(٢)</sup>

#### الفرع الثاني: القوة العسكرية لفرعون ودورها في تأجيج الصراع:

لقد كان لفرعون قوة عسكرية تمثل أداة تنفيذية في نظامه، وتثبيت أركان حكمه، حيث أسند فرعون إليهم مهمة القهر والقتل والتعذيب ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤٩)، {البقرة: ٤٩}، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤٩)، {الأعراف: ١٤١}، ومن الملاحظ أنَّ القرآن أسند الفعل إليهم مع أنَّ الأمر به هو فرعون، لأنهم الفاعلين لذلك كله، وظهرت أهمية هذه القوة من خلال عمليات القتل والذبح والتعذيب في السجون وغيرها التي كان يُراد منها تركيع الجماهير وإخضاعهم لإرادة فرعون، إذ لولا تلك القوة لما استطاع فرعون تسخير الأغلبية من الجماهير في الأعمال الشاقة، في مُقابل لقمة العيش والبقاء على قيد الحياة، كما أنَّ القوة هي الأداة التي أرهبت الناس وأجبرتهم على قبول ربوبيته المزعومة وألوهيته الكاذبة.

فالواقع المر الذي كانت تعيشه أغلبية الجماهير في ظلِّ الظلم والطغيان جعل فرعون يحتاج إلى أدوات قمع جبَّارة، بها يسكت الجماهير وبواسطتها له يخضعون، فكان له جيشاً جرَّار ومخابرات مبنوثة هنا وهناك، وشرطة أنيطت بها المهمات، ولكي نقف على حقيقة قدراته العسكرية لا بدَّ لنا من تتبع النصوص القرآنية التي من خلالها نعرف أجهزة فرعون العسكرية وتشكيلاتها، وهي على النحو التالي:

**الجيش:** وهم جنود فرعون الذين يحملون السلاح، ويباشرون المعارك التي تخوضها الدولة ضدَّ فئة كبيرة ذات ثقل عسكري، وهو ما نسميه بالجيش النظامي، وهم الذين مهنتهم حمل السلاح، والمحافظة على وجود الدولة ككل، ودليل ذلك، قوله

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، (346/19).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان، (36/13)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (29/3)، الشوكاني، فتح القدير، (268/2).

تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا...﴾، {يونس: ٩٠}، وقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ...﴾، {طه: ٧٨}.

**جهاز المخابرات:** أو الجواسيس والعيون التي ييشها فرعون هنا وهناك، يلتقطون أخبار الناس ويراقبون حركتهم، فالجماهير المقموعة تتجه إلى السريّة في حركتها، حيث لم يبق لها أيّ مساحة فوق الأرض تتحرك فيها بأمان واطمئنان، و لهذا تنشأ الحركات السريّة، ولها تُنشئ الحكومة أجهزة الرقابة والمتابعة والملاحقة، إنّ من يتدبر النصوص يمكنه معرفة كلّ ما سبق، فهذا هي أمّ موسى عليه السلام تخاف على ابنها القتل، وبالتالي تحاول إخفاءه عن العيون التي تراقب وتلاحق، وقد ضاقت عليها الأرض بما رحبت، وهنا تدركها رحمة الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَكَلِمَةٍ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٧﴾، {القصص: ٧}، أي: أرضعيه ما أمكنك إخفاءه، فإذا خفت عليه من جواسيس فرعون بأن يبلغ خبره إليه أو أن يحس به فألقيه في اليمّ في البحر يريد النيل، ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة، ولا تحزني لفراقه ؛ إنّنا رادوه إليك عن قريب بحيث تأمنين عليه، وجاعلوه من المرسلين<sup>(1)</sup>، والشاهد في الآية أنّها خافت أن تحس به عيون فرعون وجواسيسه.

ومن الوظائف التي قام على تنفيذها آل فرعون: **وظيفة المراقبة** التي تشبه مهمة المخابرات في زماننا هذا، وهي مهمة حساسة غالباً ما يعتمد الطواغيت على المقرين فيها، يقول تعالى: ﴿فَأَلْقَتْهُمُ الْعَالُ فِرْعَوْنُ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ٨﴾، {القصص: ٨}، أي: موسى عليه السلام وهو في مرحلة الطفولة الأولى، "وهم لم يلتقطوه ليكون عدواً وحزناً وإنّما التقطوه فكان لهم"<sup>(2)</sup>.

**ولولا جهاز المخابرات لما استطاع فرعون أن يكشف بني إسرائيل عند خروجهم سراً وفي الليل،** ودليل ذلك قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً...﴾، {الدخان: ٢٣}، "والسري لا يكون إلا ليلاً، فالنص عليه يعيد تصوير المشهد، مشهد السري بعباد الله - وهم بنو إسرائيل - ، ثمّ للإيجاء بجو الخفية؛ لأنّ سراًهم كان خفية عن عيون فرعون ومن وراء عملائه"<sup>(3)</sup>، ورغم هذا التكنم والسريّة علم فرعون، وهذا يدلّ - أيضاً - على قوة الاستخبارات الفرعونية التي هي جزء من القوة العسكرية.

**جهاز الشرطة:** والذي يقوم بمهام السجون، أو ما نسميه اليوم شرطة مصلحة السجون، ودليل ذلك قوله تعالى حكاية لفرعون لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ لِيْنِ أَخَذْتُ إِلَهَآ غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ٢٩﴾، {الشعراء: ٢٩}، أي: ممن عرفت حالهم في سجوني، فإنّه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل أبلغ من لأسجنتك<sup>(4)</sup>، فالسجن من

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان، (521/19)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (172/4)، الشوكاني، فتح القدير، (184/4)، الألوسي، روح المعاني، (45/20).

(2) الطبري، جامع البيان، (178/15).

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، (3213/5).

(4) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (136/4)، أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (240/6)، الألوسي، روح المعاني، (73/10).

سياسات فرعون المعهودة والمعروفة بين الناس، وبالتالي يلزم تلك السجون شرطة تقوم على تعذيب المساجين وقمعهم وحراستهم حتى لا يفروا من جحيم الطاغوت!

### الفرع الثالث: القوة المالية لفرعون، ودورها في تأجيج الصراع.

يَبْنِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ فِرْعَوْنَ ذُو مَلَكيَّةٍ كَبِيرَةٍ ضَخْمَةٍ، وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومِ آلِيَّسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٥١﴾، { الزخرف: ٥١ }، فهو يُسَائِلُهُمْ: أليس لي ملك مصر لا ينازعني فيه أحد (1)، وهذه الأنهار أنهار النيل تجري من تحتي من تحت قصوري، أو تجري بين يدي في جنائي وبساتيني (2)، أفلا تبصرون أيها القوم: ما أنا فيه من النعيم والخير (3)، فتسمع الجماهير النداء وتسكت رهبة أو رغبة، وكفى بهذا النداء دليلاً على ما يتمتع به فرعون من ملكية تشمل أرض مصر وأنهارها.

ومن الشواهد على قدرة فرعون المالية ما أمر به وزيره هامان ومدير رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين، يعني يتخذ له أجراً لبناء الصرح، وهو القصر المنيف الرفيع العالي (4)، وذلك معنى قوله تعالى حكاية لقول فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي الْفِطِينَ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٣٨﴾، { القصص: ٣٨ }، وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ بَنِي إِسْرَءِيلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ٣٦﴾، { غافر: ٣٦ }، ولو كان وضع فرعون المالي ضعيف لما استطاع أن يبني، أو أن يأمر ببناء مثل هذا الصرح، حتى قيل: "إنَّ أول من أمر بصنعة الآجر وبني به فرعون" (5)، وليس هذا مستغرباً عند مشاهدتنا للأهرامات القائمة حتى اليوم.

ومن الأدلة على قوة فرعون المالية، تلك الحلبي التي كانت في ملكية القبط، حيث أخذ بنو إسرائيل جزءاً منها عند خروجهم من مصر، والتي كانت تمثل بعضاً مما كان يملكه القبط من أموال، وذلك ما يُرشد إليه قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُمْ خُوراً ...﴾، { الأعراف: ١٤٨ }، وقوله تعالى: ﴿... وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ٨٧﴾، فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُمْ خُوراً فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ٨٨﴾، { طه: ٨٧ - ٨٨ }، أي: ولكننا حملنا أحمالاً من حلبي القبط التي استعرتها منهم حين هممنا بالخروج من مصر، وقيل: استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوها عند الخروج مخافة أن يعلموا بهم، وقيل: هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه؛ وأياً ما كانت طريقة أخذها فالشاهد وجودها عند القبط، وهم أتباع وأعوان فرعون، ولعل بني إسرائيل سمّوها أوزاراً

(1) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (98/16)، الشوكاني، فتح القدير، (640/4).

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان، (617، 616/21)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (212/7)، الألوسي، روح المعاني، (89/13).

(3) الطبري، جامع البيان، (617/21)، القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: 1332هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ت ط: (1418 هـ)، (394/8).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (214/6).

(5) الطبري، جامع البيان، (580/19).

لأنها آثام، فإنَّ الغنائم لم تكن تحل بعد، أو لأنهم كانوا مستأمنين، وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي، فقدفوها في النار فكَذلك ألقى السامري، فأخرج لهم عجلاً جسداً من تلك الحليّ المذابة (1)

مما سبق ندرك قوة فرعون من الناحية المالية، هذه القوة التي كانت وسيلة من وسائله في تثبيت نظامه وإظهار شخصيته، أثناء قيادته السلبية لبني إسرائيل فتعددت وجوه استعماله للمال، ولكنّها في نهاية المطاف تصب في إبقاء النظام، وتشد عرش الظلم المتربع فوقه فرعون، فلا يُنفق إلاّ للصد عن سبيل الله، ثمّ بعد هذا تعود عليه بالحسرة والخسران، وفي السطور الآتية سنبين كيفية استخدام فرعون للمال أثناء قيادته لبني إسرائيل ودوره السلبي في تأجيج الصراع.

## 1- المال وسيلة لإضلال الناس وإغرائهم.

لقد كان المال بيد فرعون وسيلة لإضلال الناس عن سبيل الله؛ - لأنّ إضلال الناس شرط لبقائه في حكمه-، " إمّا بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الآخرين، وإمّا بالقوة التي يمنحها المال لأصحابه فيجعلهم قادرين على إذلال الآخرين أو إغوائهم، ووجود النعمة في أيد المفسدين لا شك يزعزع كثيراً من القلوب التي لا يبلغ من يقينها بالله أن تدرك أنّ هذه النعمة ابتلاء واختبار، وأنّها كذلك ليست شيئاً ذا قيمة إلى جانب فضل الله في الدنيا والآخرة" (2)، وهذا ما نفهمه من قول موسى عليه السلام، ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٨٨)، { يونس: ٨٨ }، "... وموسى يتحدث هنا عن الواقع المشهود في عامة الناس، ويطلب لوقف هذا الإضلال، ولتجريد القوة الباغية المضلة من وسائل البغي والإغراء، أن يطمس الله على هذه الأموال بتدميرها والذهاب بها، بحيث لا ينتفع بها أصحابها" (3)

## 2- المال وسيلة لشراء الولاءات.

بالمال يشتري الطاغوت الذمم وبه يُغري ضعاف النفوس، إذ لولا المال الذي يسيطر عليه فرعون لما تكلف السحرة مشاقّ السفر إلى القصور الفرعونية، ولما حرصوا كلّ الحرص على الفوز والانتصار، ولما كانوا أدوات طيعة بيد فرعون، لقد فهم فرعون تلك النفوس، وأدرك أهداف السحرة وغاياتهم، ولهذا أجابهم إلى مطلبهم، وزادهم عليه تحفيزاً لهم في ساعة اشتدت الحاجة إليهم، فجعل - لعنه الله - يعدهم ويُميّهم وما يعدهم فرعون إلاّ غوراً، يقول تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (١١٤)، فالسحرة ساءوا فرعون قبل أن يبدأوا يطلبون الأجرة، فذكر لهم أجربين أحدهما مادي، والثاني معنوي، أمّا الأول فهو: المال الذي طلبوه، والثاني: رضاه عنهم، وتقريبه لهم، ولذا أكد الثاني بالجملة الاسمية وبـ ( إِنَّ ) وباللام، وبإدخالهم في ضمن المقربين

(1) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (36/4)، أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (35/6، 36)، الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة: الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ت ط: (1407 هـ)، (82/3)، القاسمي، محاسن التأويل، (141/7).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، (1817/3).

(3) المرجع السابق، (470/4).

منه كحاشيته،<sup>(1)</sup> يقول صاحب الظلال: "... يحترفون السحر كما يحترفون الكهانة! والأجر هو هدف الاحتراف في هذا وذاك! وخدمة السلطان الباطل والطاغوت الغالب هي وظيفة المحترفين من رجال الدين! وكلما انخرفت الأوضاع عن إخلاص العبودية لله، وإفراده - سبحانه - بالحاكمية وقام سلطان الطاغوت مقام شريعة الله، احتاج الطاغوت إلى هؤلاء المحترفين، وكافأهم على الاحتراف، وتبادل وإياهم الصفقة: هم يقرون سلطانه باسم الدين! وهو يعطيهم المال ويجعلهم من المقربين! ولقد أكد لهم فرعون أنهم مأجورون على حرفتهم، ووعدهم مع الأجر القريب منه، زيادة في الإغراء، وتشجيعاً على بذل غاية الجهد..."<sup>(2)</sup>، فالمصلحة بينهم متبادلة، والمال هو القاسم المشترك بين من يملكه وبين من يرغب في الحصول عليه، وتلك هي المعادلة التي تجعلنا نفهم لماذا تحتشد الجموع من الخطباء والشعراء والأدباء وحتى بعض علماء الدين على أبواب السلطان يعرضون قدراتهم ومهاراتهم مقابل الدرهم والدينار.

### 3- المال وسيلة للتفرقة بين الناس.

المال بين يدي الطاغوت وسيلة للتفرقة بين الناس، فالمستفيد من الحكومة يواليها، ويدافع عنها؛ لأنها تمثل مصالحه، مهما كانت هذه الحكومة طاغية وظالمة، فإن لم يكن من المدافعين فلن يكون من المتمردين عليها أو المطالبين بتغييرها، مع أن هذه الفئة تدرك أن رفاهيتها لم تكن إلا على حساب المحرومين من حقوقهم، وكفى بهذا تأجيلاً للبغضاء والعداوة بين الناس، وقد أتقن فرعون هذه السياسة حيث، أغرى بينهم العداوة كي لا يتفقوا عليه، يكرم طائفة ويهين أخرى، فأكرم القبطي وأهان الإسرائيلي<sup>(3)</sup>، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(4)</sup>، {القصص: ٤}، فتحول المال بين يدي الطاغوت من نعمة إلى لعنة بدل أن يؤلف به الرعية ويقوم بواجبه نحوهم استخدمه ضدهم في نشر البغضاء والكراهية وتقسيم المجتمع طبقياً، كما مر معنا عند الحديث عن دور القيادة في تقسيم المجتمع وتمزيقه طبقياً.

ومن خلال ما تقدم نجد أن القيادة والمال واستخدامهما للقوة والمال كان لهما دوراً في تأجيج الصراع وإطالة أمده؛ حيث أن عقلية القتل والتصفية والاستئصال ظاهرة في وسائل الطغاة والعتاة، فتارة بالنفي والإبعاد وتارة بالسحق والطمس والاجتثاث، وتارة بالتظليل والتجهيل والكذب وإشغال الجماهير بشعارات جوفاء، سعيًا منهم لإبادة صوت الحق الذي يشوش حياتهم ويهدد مصالحهم؛ ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره وينصر الحق ولو كره الطغاة والمجرمون المتغطرسون، ففرعون أراد أن يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم من الأرض مطلقاً بالقتل والاستئصال أو الإبعاد، فكان عكس ما تمنّاه، وارتدّ مكره عليه دماراً وبواراً بأن أغرقه الله ومن معه جميعاً.

(1) ينظر: أبي زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (المتوفى: 1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (2923/6).

(2) سيد قطب، (1349/3).

(3) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (171/4)، النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (المتوفى: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكلم الطيب، ت ط: (1419 هـ - 1998 م)، (627/2).

#### 4. خاتمة:

وبعد التجوال في مباحث ومطالب هذا البحث، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- الصراع والنزاع والاختلاف بين البشر سنة إلهية يأخذ بعداً إيجابياً بجانب الخير، وبعداً سلبياً بجانب الشر.
- القيادة ضرورة للتجمعات البشرية لتسيير أمورها وتدير مصالحها.
- صلاح شؤون الناس وفسادها يتوقف غالباً على قادتها؛ لما لهم من سلطة في تدير الأمور وهيمنتهم عليها.
- القيادة السلبية الفاشلة تعتقد أن القيادة تعني السطو والسيطرة أو التملك أو القوة أو المركز أو المكانة، بعيداً عن رعاية المصالح العامة للمجتمع وتديرها.
- كان فرعون في قيادته لقومه كثير الشر عديم الخير، وليس هذا مرتبطاً بقيادة فرعون فحسب، بل ستكون هذه الآثار في كل مرة يتعرض فيها المجتمع لمثل تلك القيادة.
- لعبت القيادة الفرعونية دوراً سلبياً أنتجت أمراضاً اجتماعية، تمثلت في إضلال قومه وتجهيلهم، واستمرارهم الذل، وتقسيمهم طبقياً، إضافة إلى طغيان المفهوم المادي للحياة وإشغال المجتمع بما لا ينفع.
- الدور الذي لعبته القيادة السلبية أنتج قاعدة جماهيرية تستمرى الذل والإهانة.
- الدور الذي لعبته القيادة السلبية أفرز قيماً رخيصة تمثلت في تقسيم المجتمع تقسيماً طبقياً.
- التعلق بالدنيا يُفقد الإنسان القدرة على استيعاب الحقائق، ويُصاب بقصر النظر بل وانعدامه، وهذا ما تسببت به القيادة السلبية في طغيان المفهوم المادي للحياة.
- القيادة السلبية لعبت دوراً في إشغال الناس وإبعادهم عن الأحداث الحقيقية بقضايا تافهة كالأعياد والمناسبات ومشاريع وهمية كبناء الصرح.
- القائد بمفرده لا يستطيع إدارة دفة الحكم بمفرده فهو بحاجة إلى أعوان تساعدوه وقد كان لفرعون ملاً لهم دور في كل خطوة يخطوها، فقد كانوا أدوات التنفيذ والمباشرة في قيادة بني إسرائيل، ولا يقل دورهم السليبي عن دور فرعون.
- لقد كان لفرعون قوة عسكرية وأدوات قمع جبّارة، أسند إليهم مهمة القتل والقهر والتعذيب، فكان له جيش جرّار ومحاربات مبنوثة، وشرطة أنيطت بها المهمات.
- كانت قوة فرعون المالية وسيلة من وسائله في تثبيت نظامه وإظهار شخصيته، أثناء قيادته السلبية لبني إسرائيل فتعددت وجوه استعماله للمال كوسيلة لإضلال الناس وإغرائهم، وشراء الولاءات، ووسيلة للتفرقة بين الناس.
- تمثلت عوامل تأجيج الصراع واستمراره في عامل القيادة والملاً واستخدامهما للقوة العسكرية والمالية.

#### أما التوصيات:

- أوصي الباحثين بمزيد العناية والاهتمام بدراسة القصص القرآني والاستفادة منها في استخلاص الحلول للمشاكل التي تعاني منها الأمة، فهي من أنجع الوسائل لإصلاح المجتمعات.
- دراسة مؤهلات القيادة الإيجابية من منظور القصص القرآني.

## 5. قائمة المراجع:

- 1- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (المتوفى: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة: الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ت ط: ( 1417 هـ - 1997 م).
- 2- ابن الهائم أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، (المتوفى: 815هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي ط: (1423هـ).
- 3- ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، الطبعة: الأولى، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ت ط: ( 1418 هـ ).
- 4- ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (المتوفى: 458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت ط: ( 1417 هـ 1996 م).
- 5- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة: الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ت ط: ( 1420 هـ - 1999 م).
- 6- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (المتوفى: 774هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر، ت ط: (1407 هـ - 1986 م).
- 7- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الطبعة: الثالثة، بيروت، دار صادر، ت ط: ( 1414 هـ ).
- 8- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 9- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، الطبعة: الأولى، دار الرسالة العالمية، ت ط: ( 1430 هـ - 2009 م)).
- 10- أبو عبد الله الشيباني أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، ت ط: ( 1421 هـ - 2001 م).
- 11- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ت ط: ( 1384 هـ - 1964 م).
- 12- أبي زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (المتوفى: 1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

- 13- الأزهرى محي الدين ، الإدارة ودور المديرين-أساسيات وسلوكيات ، القاهرة، ت ط: ( 1413هـ - 1993م).
- 14- ألمانف جميل كاظم، القيادة والأزمة الحضارية، الطبعة: الأولى.
- 15- الألوسى أبى الفضل شهاب الدين محمود الألوسى البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة: الرابعة، دار إحياء التراث العربى، ت ط: ( 1405هـ . 1985م).
- 16- الأنصارى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصارى، زين الدين أبو يحيى السنيكى (المتوفى: 926هـ)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة: الأولى، بيروت، لبنان، دار القرآن الكريم، ت ط: ( 1403 هـ - 1983 م).
- 17- البخارى محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخارى الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخارى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، دار طوق النجاة(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، ت ط: (1422هـ).
- 18- بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، مكتبة لبنان للنشر والتوزيع، ت ط: (1977م).
- 19- بصبوص أحمد ، فن القيادة في الإسلام، الطبعة: الأولى.
- 20- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ت ط: ( 1420 هـ).
- 21- بن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تونس، الدار التونسية للنشر، ت ط: (1984 هـ).
- 22- البنا أحمد بن محمد البنا، اتحاد فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق: شعبان محمد اسماعيل، الطبعة: الأولى، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ت ط: ( 1407هـ . 1978م).
- 23- البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ت ط: ( 1418 هـ).
- 24- جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، (المتوفى: 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب.
- 25- الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتاب العربى، ت ط: ( - 1422 هـ).
- 26- الخزندار سامي إبراهيم، إدارة الصراعات وفض المنازعات، إطار نظري، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة: الأولى، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات والبحوث، ت ط: ( 1435هـ - 2014م).
- 27- الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد البستي، (388هـ)، معالم السنن، الطبعة الأولى، حلب، سوريا، المطبعة العلمية، ت ط: ( 1351هـ - 1932م).
- 28- الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري

- (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، الطبعة: الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت ط: (1420هـ).
- 29- الرازي أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ت ط: (1399هـ - 1979م).
- 30- الراشد أحمد، صناعة الحياة، الطبعة: الأولى، السعودية، ت ط: (1989م).
- 31- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولى، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ت ط: (1412هـ).
- 32- رضا محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ت ط: (1990م).
- 33- الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- 34- الزرقاني محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة: الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- 35- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة: الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ت ط: (1407هـ).
- 36- السويدان، طارق تعريف القيادة، الموقع الإلكتروني <http://www.islamtoday.net/nawafeth/artsh-53>
- 37- الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، الطبعة: الأولى، دمشق- بيروت، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، ت ط: (1414هـ).
- 38- الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة: الخامسة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ت ط: (1403هـ - 1983م).
- 39- الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، ت ط: (1420هـ - 2000م).
- 40- الطيار حسب الرسول الطيار، العلاقات العامة الشعبية ودورها في الوساطة وفض النزاعات القبلية، الطبعة: الأولى، مكتبة الأزهر، ت ط: (1998م).
- 41- عاشور مجدي محمد، السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط، الطبعة: الثانية، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ت ط: (1428هـ - 2007م).
- 42- عبد العظيم سعيد عبد العظيم، تربية القادة لا تربية العبيد، الطبعة: الأولى.
- 43- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ت ط: (1379هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على

طبعه: محب الدين الخطيب.

- 44- العمروس عبد الله، المنهج في رعاية القادة في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة، الطبعة: الأولى.
- 45- غيث محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ت ط: (2006م).
- 46- فرج الله محمد فتحي عبد الجواد، القيادة في ضوء القرآن الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أنموذجاً- دراسة استنباطية موضوعية-، رسالة ماجستير، التفسير والعلوم الإنسانية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، (1438هـ - 2016م).
- 47- الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة: الثامنة، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ت ط: (1426 هـ - 2005).
- 48- القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: 1332هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ت ط: (1418 هـ).
- 49- القريوبي محمد، السلوك التنظيمي- دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في منظمات الأعمال، الطبعة الخامسة، عمان، دار وائل للنشر، ت ط: (2009م).
- 50- قطب سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، في ظلال القرآن، الطبعة: السابعة عشر، بيروت- القاهرة، دار الشروق، ت ط: (1412 هـ).
- 51- الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، الطبعة: الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ت ط: (1983م).
- 52- ماضي جمال، القيادة المؤثرة، الطبعة: الأولى، المدائن للنشر والتوزيع، ت ط: (1415 هـ - 1995م).
- 53- مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
- 54- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- 55- المناوي زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الطبعة: الأولى، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ت ط: (1356هـ).
- 56- المناوي زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، الطبعة: الأولى، القاهرة، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، ت ط: (1410هـ-1990م).
- 57- المودودي، أبو الأعلى، الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، الطبعة: الأولى.

58- النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (المتوفى: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكلم الطيب، ت ط: (1419 هـ - 1998 م).

59- الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (المتوفى: 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة: الأولى، دمشق - بيروت، دار القلم - الدار الشامية، ت ط: (1415 هـ).